قاضي البصرةإياس المزني

د. أسماء عواد الدوري
الجامعة المستنصرية–كلية التربية الأساسية

المقدمة

الحمد للّه العظيم المتعال ذي الجلال والإكرام والصلاة والسلام على خاتم المرسلين محمد بن عبد اللّه سيد الأولين والآخرين، الذي ختم اللّه به أنبياءه ورسله، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن القضاء من أجل المناصب وأشرفها قدراَ، وأعظمها مكانة، ويكفيه شرفاَ قيام خير خلق اللّه به من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

قال اللّه سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم:(كاَنَ الناَس أُمَّةَ وَاحدَةً فَبَعَثَ اللَّه الَنبِيّين مبُشِرينَ وَ مَنْذرِينَ و أنزَلَ مَعَهُمُ اُلْكتَابَ بِاْلحَقِّ لَيحْكُمَ بَيْنَ الَّناسِ فيماَ اخَتَلفُوا فِيه)[1].

وقال اللّه سبحانه وتعالى لنبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :(وَأَنزَلَنَا إليكَ اْلْكتَابَ ِبالْحَقِّ مُصَدّقاًَ ِلَماَ بْيَنَ يَدَيْه مِنَ اْلكَِتابِ وَمَهْيِمناًَ عَلْيهِ فَاحْكُمْ بَيَنُهمْ بَما أَنَزَلَ اللّهُ)[2].

فالقضاء مقام عال ومنصب نبوي ، به الدماء تعصم وتسفح ، والأموال يثبت ملكها ويسلب، والمعاملات يعلم ما يجوز منها ويحرم ويندب ، وهو من الأمور المقدسة عند كل الأمم مهما بلغت درجتها في الحضارة رقياَ أو انحطاطاَ ، لذا فقد اهتمت الشريعة الإسلامية والأمة المحمدية من أول نشأتها إلى اليوم بالقضاء و أموره، ففي حديث عن النبي محمد ρ قال: ((لأحسد إلا في أثنيتين رجل آتاه اللّه مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه اللّه الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها))[3].

ولأجل ذلك رأيت الكتابة عن علم من أعلام المسلمين في القضاء وهو القاضي إياس بن معاوية قرة بن المزني ، ذو الشهرة الواسعة الحاد والفراشة القوية التي جعلته مضرب المثل في الذكاء ، قال أبو تمام الشاعر في رثائة لأحد في أبيات منها :

---

(١) . سورة البقرة : الآية ٢١٣.

(٢) . سورة المائدة : الآية ٤٨.

(٣) ـ البخاري : محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) ، الجامع الصحيح (صحيح البخاري) ، دار الجيل . بيروت . (د.ت) ، ج٣٩/١.

أقدم عمرو في سماحة خاتم في حلم أحذف في ذكاء إياس

ومحاولة استخلاص الصفات التي أهلته لهذه الشهرة، لتكون نبراساً للمبتدئين من القضاء والولاة والحكام وقد أشتمل الموضوع إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

فكان الأول مخصص لدراسة حياته الشخصية، وقد تضمن: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه، ومولده، وأسرته ، وصفاته وأخلاقه ، ثم وفاته.

المبحث الثاني في حياته العلمية وأشتمل على: نشأته العلمية، وشيوخه وتلاميذه، وعلومه ومعارفه ، وآراء العلماء فيه.

أما المبحث الثالث فتناول حياته العملية (القضائية)، وأشتمل على: توليه قضاء البصرة ، وولايته سوق واسط.

ثم الخاتمة أسأل اللّه سبحانه وتعالى التوفيق والنجاح والحمد للّه والصلاة والسلام على رسوله الكريم وصحبه أجمعين.

المبحث الأول / حياته الشخصية

١- أسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو أياس بن معاوية بن قرة بن أياس بن هلال بن رئاب بن عبيد بن دريد بن أويس بن سواءة بن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن سليم بن أوس بن عمرو بن أد بن طابخة بن ألياس بن مضر بن نزار بن عدنان وهو من قبيلة مزينة[١].

وقال ابن الأثير[٢]: هو إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب . بالباء خلافاً لغيره ولعله تصحيف . بن عبيدة سواة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن مسلم بن أوس عمرو المزني.

وقال العلامة ابن كثير[٣]: هو أياس بن معاوية بن قرة بن أياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن دريد بن أوس بن سواه بن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان ابن ثعلبة بن

---

[١] . وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ) ، أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت ج١/٣٧٤.

[٢] ـ أبن الأثير ألجزري : محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ) ،اللباب في تهذيب الأنساب ، ط١، دار صادر، بيروت ،١٤٠٠ هـ ،ج١ /٩٣.

[٣] ـ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية في التاريخ ،ط٥، مكتبة المعارف ، بيروت ،(د.ت) ،ج٩ /٣٣٢.

أوس بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان .

وقد اختلف علماء النسب في حقيقة نسب القاضي أياس مع اتفاقهم على أنه قبيلة مزينة المعروفة، وهي من القبائل العدنانية . إذ روى وكيع في أخباره[١]: بأنه يعود نسبه إلى سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن سليم بن أوس بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن معد عدنان.

وقال ابن خلكان[٢] : بأن القاضي إياس ينسب إلى سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سليم بن إوس بن مزينة المزني.

هذا ما روي في نسبه ولم يظهر لي قوة ترجيح رواية على أخرى ، والذي يظهر لي أن الأمر لا يعدو من إسهاب في بعض الروايات واختصار يتجاوز بعض الأسماء في الأخرى.

يختلف علماء السير والتراجم في هذه الكنية[٣]، وكان بلقب بالبصري لقب نسبه وذلك لاستيطانه به[٤] .

٢- مولده:

ولد القاضي أياس بن معاوية باليمامة سنة وأربعين من الهجرة[٥]. ونشأ بأضاح[٦]، ثم تحول إلى ضرية[٧]، ثم أقام بالبصرة حتى تولى قضاءها فنسب إليها[٨].

---

[١] . أخبار القضاة ،ج١ /٢٤٧.

[٢] . ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج١ /٢٤٧.

[٣] . الرازي : أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) ، الجرح والتعديل ، دار الكتب العلمية، ج٢ /٢٨٢ ؛ المزي: جمال الدين يوسف (ت٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق: د. بشار عواد معروف ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤٠٥هـ ج٣ /٤٠٧ ؛ ابن كثير : م.س ، ج٩ /٣٣٤.

[٤] . ابن الأثير :اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ /١٥٨.

[٥] . وكيع : م.س ج١ /٣٧٤.

[٦] . أضاح : مضمومة الهمزة ،قرية من قرى اليمامة ، وكانت لبنى نمير ، واليها ينتسب الكثير من العلماء، ياقوت الحموي : شهاب الدين (ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م ،ج١ /٢١٣.

[٧] . ضرية : مكان ينسب إليه الحمى وهو أكبر الإحماء ، وضرية أواسط الحمى.

انظر: ألحميري :محمد بن عبد المنعم(ت٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ،ص٣٧٧.

[٨] . ابن الأثير : اللباب ،ج١ /١٥٨.

وقد أوضح ذلك وكيع فروي بسنده عن الأصمعي قال[١] : أتى إياساً رجل، فقال: يايمامي ، قال لست بيمامي ، قال : يا أضاخي ، قال : لست بأضاخي ، فقال : يا ضروي، فجاء فسأله عن نفسه ، فقال : " ولدت باليمامة ونشأت بأضاخ ثم تحولت إلى ضربة ".

هذا ولم يشر أحد من علماء السير إلى مكان ولادة القاضي إياس ونشأته فيما يظهر لي بعد البحث سوى وكيع في روايته المنوه عنها بعالية ومن المزي فقط .وقد أورد المزي أضاخ بلفظ أضاخة[٢].

٣- أسرته:

الأسرة لها الدور الكبير في رفد المجتمع بأفراده صالحين ، وكم أسرة رفدت المجتمع بعلماء أفذاذ وقادة عظماء ساروا بالأمة إلى العلياء ، وما ذلك إلا ببركة الأسرة الصالحة ، قال اللّه وتعالى : **(وَالذَّينَ آمَنُوا و اَتَّبَعُتهُمْ ذُريَّتُمْ بأَيمان ألحقَْنا بِهمْ ذُريّتَهمْ ومَاَ ألتنا هُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شِيْ كُلُّ امْرِ بمَا كَسَبَ رَهِينٌ)**[٣] . وأسرة إياس من تلك العوائل الكريمة فوالده تابعي ، وجده صحابي[٤] .

وكفى بذلك دلالة على امتياز المنبع ، وسنلقي الضوء على أفراد عائلة إياس بن معاوية بوصفهم المحيط الثقافي والاجتماعي الذي نشأ فيه :

أولا: قرة بن إياس بن رئاب المزني ، هو جد إياس بن معاوية ، سكن البصرة ، وداره بها، له صحبة مع رسول اللّه ε ويقال له قرة الأغر. لم يرو عنه غير أبنه معاوية بن قرة ، وقد قتل قرة في قتال الأزارقة[٥] عندما خرج في جيش ابن عبيس بن كريز[٦] في نحو من عشرين ألفاُ يقاتلون الأزارقة[٧]، وذلك سنة ٦٤هـ .٦٨٣م ، وأخرج البخاري في تاريخه

---

[١]. أخبار القضاة ، ج١ /٣٧٤.
[٢] . تهذيب الكمال ، ج٣ /٤٣٠.
[٣]. سورة الطور : الآية ٢١.
[٤]. المزي :م.س ، ج٣ /٤٠٧ ؛ ابن كثير : م.س ، ج٩ /٣٣٤.
[٥]. الأزارقة : هم جماعة من الخوارج أصحاب نافع بن الأزرق ومن مذهبهم أن مرتكب الكبيرة كافر. انظر :الشهر ستاني : محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨ هـ) ، الملل ، النحل ،مطبعة دار الندة ، بيروت، (د.ت) ،ج١ /١٥٦.١٥٧.
[٦] ـ هو عبد الرحمن بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس وكان أمير الجيش قتل في قتال الأزارقة سنة ٤٦ هـ زمن معاوية بن يزيد بن معاوية .
انظر: ابن عبد البر ، أبو يوسف النمري (ت٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، دار العلم الحديثة، طبعة جديدة بالأوفيسيت . مكتبة المثنى ، (د.ت) ، ج٣ /٢٣٢.
[٧] . ابن عبد البر :م.ن ،ج٣ /٢٥٢.

عن معاوية بن قرة قال : "خرجنا مع ابن عبيس نحواً من عشرين ألفاً وكانت الحرورية في خمسمائة فقتل أبي فحملت على قاتل أبي فقتلته "[١].

ثانياً: والده معاوية بن قرة بن أياس تابعي وعالم ثبت ثقة[٢] حدث عن بعض الصحابة ومن أشهرهم والده قرة الذي سبق ذكره ، وعبد اللّه بن عباس[٣] ، وأنس ابن مالك[٤] وغيرهم . ومن أشهر تلاميذه ابنه إياس الذي خصصت هذا البحث من أجله.

وقال معاوية بن قرة : أدركت ثلاثين من الصحابة ليس فيهم إلا من طَعَنَ أو طُعِنَ أو ضرَبَ مع رسول اللّه [٥].

وكان صاحب أقوال مأثورة فكان يقول : بكاء العمل أحب إليَّ من العين ، وقال أيضاً: لا تجالس بعلمك السفهاء ولا تجالس بسفهك العلماء[٦] ، توفي سنة ١١٣هـ .٧٣١م وهو ابن ست وسبعين سنة[٧] .

ثالثاً: أمه، ويروي أنها أعجمية من خرسان، وقيل جارية أم ولد[٨]، وقيل أنها جارية بنانية[٩]، وقد روى وكيع بسنده عن سفيان بن حسين[١٠] قال : "قال لي إياس بن معاوية أن أمي كانت أمرة عجمية "[١١].

وذكر المزني[١٢]: إن أم إياس امرأة من أهل خراسان .

---

[١] ـ البخاري : التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،طبعة عن دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٢هـ، ج٧ /١٨٠.

[٢] . ابن سعد : محمد بن سعد الواقدي (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ،دار صادر ، بيروت . (د.ت) ، ج٧ /٢٢١ ؛ البخاري : التاريخ الكبير ، ج٧ /٣٣٠.

[٣] . هو عبد اللّه بن عباس بن عبد المطب حبر الأمة ابن عم رسول اللّه ε، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ.

[٤] ـ هو أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري خادم رسول اللّه وله صحبة طويلة مات سنة ٩٣هـ، ولد بالمدينة في السنة العاشرة قبل الهجرة وأسلم صغيرة ، وخدم النبي ε وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. انظر : ابن أبي حاتم : م.س ، ج٢ /٢٨٦.

[٥] . ابن سعد : م.س ، ج٧ /٢٢١ ، ابن أبي حاتم : م.س ، ج٨ /٣٧٨.

[٦] . الذهبي : أبو عبد اللّه محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (د.ت) ، ج٥/١٥٣.

[٧] . ابن سعد : م.س ، ج٧/٢٢١ ؛ابن أبي حاتم :م.س ، ج٨/٣٧٨.

[٨] . وكيع : م.س ، ج١/٣٤٤.

[٩] . بنانة : بضم الباء وفتح النون ، وهي محلة بالبصرة سميت كذلك لنزول قبيلة بنانة فيها ، وقبيلة بنانة نسبة إلى بنانية بن لؤي بن غالب . انظر : ابن الأثير : اللباب ، ج١/١٧٨.

[١٠] . هو سفيان بن حسين السلمي ، مولي لهم ، ثقة ، لم يعرف تاريخ وفاته.

انظر : ابن سعد ، م.س ، ج٧/٣١٢.

[١١] . وكيع : م.س ،ج١ /٣٤٤.

[١٢] . م.س ، ج٣/٤٠٨.

هذا ولا مجال لترجيح رواية على أخرى ، إذ لم أعثر على دليل مرجع يعتمد عليه، إلا أن ما ذكر لا يتعارض بين كونها أعجمية في رواية وكيع وكونها من خراسان في رواية المزي لأن خراسان معتبرة من بلاد العجم ، وكذلك ما جاء من أنها جارية بنانية ، لا يعني أنها من قبيلة بنانة ، لأنها قد تكون نشأت بينهم ومن جواريهم إذ أنها نسبت إلى المحلة التي أطلق عليها هذا الاسم بالبصرة فهي أعجمية كما ورد على لسان ابنها.

ولم أجد من المعلومات المزيد عن أفراد أسرة إياس رغم البحث والتحري.

٤- صفاته وأخلاقه:

صفات الإنسان تنقسم إلى قسمين جسمية وذاتية ، ونبدأ بالصفات الجسمية للقاضي إياس بن معاوية ، إلا أننا لم نحصل على نص صريح وافي يوضح صفاته الجسمية وإنما روايات تطرقت ضمن سرد أحداثها إلى شيء من صفاته.

فقد روى الأصمعي عن أبيه قال : رأيت في بيت ثابت ألبناني[١] . رجلاً أحمر طويل الذراع غليظ الثبات يلوث عمامته لوثاً ورأيته قد غلب على الكلام فلا يتكلم أحد معه فأردت أن أسال عنه حتى قال قائل : يا أبا واثلة فعرفت أنه إياس[٢] .

وذكر الجاحظ [٣]: "إن إياساً أتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوة أحمر دميماً باد الهيئة قشفاً فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا له: الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا في زى مسكين تكلمنا بكلام الملوك ".

وروى وكيع في أخباره عن هشيم[٤]: قال: "رأيت إياس بن معاوية وكان أبيض الرأس واللحية لا يخضب" .

أما صفاته وأخلاقه الذاتية فقد كان عاقلاً ، ذكياً فهماً ، حكيماً نزيهاً ، ورعاً ، صدوقاً، باراً بوالديه ، كريماً ، معجباً برأيه بغير غرور لقلة خطئه ، متواضعاً لا يعني بنفسه ويكفي في ذلك شهرته الواسعة وشهادة أقرانه له .

فقد روى المزي عن عبد اللّه بن شوذب[١]: كان يقال يولد في كل مئة سنة رجل تام العقل وكانوا أن إياس بن معاوية منهم[٢].

---

(١) . هو ثابت بن أسلم تابعي من أهل البصرة مات سنة ١٢٧.. انظر: ابن سعد ، م.س، ج٢٣٢/٧.

(٢) . وكيع : م.س ، ج٣٣٤/١ ، ابن كثير : م.س ، ج٣٣٦/٩.

(٣) . عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٤ ، دار الفكر، بيروت، (د.ت) ، ج٩٨/١.

(٤) . وكيع : م.س ، ج٣٧٤/١.

كما روى بسنده عن الأصمعي قال : ذكر إياس بن معاوية عند ابن سيرين فقال: انه لفهم إنه لفهم[٣].

كما روى بسنده عن داود بن أبي هند قال : قال لي إياس بن معاوية : إنا أكلم الناس بنصف عقلي ، فإذا اختصم إلي الاثنان جمعت عقلي كله[٤].

وروى وكيع بسنده عن سفيان بن الحسين قلت لإياس بن معاوية : ما المروءة قال: أما في بلدك وحيث تعرف فالتقوى ، وأما حيث لا تعرف فاللباس[٥].

٥- وفاته:

توفي القاضي إياس بن معاوية سنة اثنتين وعشرين ومائة من الهجرة ، عن عمر يبلغ السادسة والسبعين عاماً[٦]. وكانت وفاته بضيعته بعبدسي، وهي قرية من أعمال دست ميسان بين البصرة وخوزستان[٧].

ومما يروى في وفاته إنه قال : رأيت كأني وأبي على فرسين فجرياً جميعاً ولم أسبقه ولم يسبقني فعاش ستاً وسبعين سنة ، وأنا فيها فزوج إياس أبنه ، فقال : أتدرون أية ليلة هذه ؟ هذه ليلة استكملت فيها عمر أبي ونام ، فأصبح ميتاً[٨].

المبحث الثاني / حياته العلمية

١ ـ نشأته العلمية:

نشأ إياس بن معاوية في عصر لم يكن تدوين العلوم فيه قد توفر وإنما كان تلقي العلوم من أفواه العلماء في الجوامع والمساجد والمجالس ، ومعظم ما يتلقى يحفظ في الصدور غالباً ، ما يترتب عليه لزوم تمتع طالب العلم بذاكرة وفطنة جيدة تساعده على استيعاب وفهم ما يلقى ، وهذا ما توفر في القاضي إياس بن معاوية.

---

(١) ـ هو عبد اللّه بن شوذب البلخي البصري ، ثقة ، توفي سنة ١٥٦هـ. انظر :ابن أبي حاتم، م.س ،ج٥/٨٢.٨٣.

(٢) . المزي : ج٣/٤٠٩.٤١٠ .

(٣) . المزي : م.ن ، ج٣/٤٠٩ . ٤١٠ .

(٤) . المزي : م.ن ، ج٣ /٣٣٥.

(٥) . وكيع : م.س ، ج١/ ٣٥٢.

(٦) . وكيع : م.س ، ج١/٣٧٣.

(٧) . المزي :م.س ، ج٣/٤٤٠ ؛ ابن كثير : م.س ، ج٩/٣٢٩.

(٨) . وكيع : م.س ، ج١/ ٣٧٣ .٣٧٤.

وفي هذا السياق يروي لنا وكيع حادثة وقعت لإياس في صغره إذ قال : " قال إياس بن معاوية إن أول شيء حكي عني أني كنت في مكتب رجل من أهل الذمة ، فاجتمع إليه أصحابه فقال: ألا تعجبون من أهل الإسلام ، إنهم يأكلون في الجنة ولا يتغوطون فقلت : يا معلم أليست الدنيا ضرة الآخرة ؟ قال بلى ! قلت كل ما يؤكل في الدنيا يخرج غائطا ؟ قال لا! قلت فأين يذهب ؟ قال يذهب بهضمه غذاء ، قلت فما تنكر إذا كان بعضه يذهب في الدنيا غذاء أن يكون كله في الجنة يذهب غذاء ؟ قال فألوى بيده وقال قاتلك اللّه من صبي[١].

إجابة إياس هذه مع صغر سنة وعدم علمه لكونه صبياً صائبة وفي منتهى الذكاء ، وقد قارب في إجابته فهم ما رواه مسلم في صحيحة قال : قال رسول اللّه ε: ((بأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون ولا يم تخطون ولا يبولون ولكن طعامهم ذاك جثاء كرشح المسك))[٢]. والحادثة لا تحتاج إلى تعليق سوى إن نضيف أنه بقدر ما تدل على مدى ذكاء إياس تدل على منبعه الصافي وغيرته على دينه ولا عجب فقد نشأ في بيت علم ، فوالده تابعي وجده صحابي [٣] ، وكفى بذلك دلالة امتياز المنبع .

ومع إنه تلقي العلم في البداية من والده إلا أنه فاق عليه ، وفي ذلك يقول معاوية بن قرة : علمت إياساً تسع سنين ثم يزل يعلمني بعد[٤].

ومما رواه إياس عن أبيه عن جده عن رسول اللّه ε ما أورده البيقي سنته[٥] قال: قال رسول اللّه ε: ((من كبر تكبيرة عند غروب الشمس على ساحل البحر رافعاً بها صوته أعطاه اللّه من الأجر بعدد كل قطرة في البحر عشرة حسنات ومحلى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ما بين الدرجتين مسيرة عام بالفرس المسرع)).

---

[١]. وكيع : م.س ،ج١/٣٧٣.

[٢] . مسلم بن حجاج بن مسلم القشري (ت٢٦١هـ) ، الجامع الصحيح ، دار الجيل ،بيروت ، (د.ت) ، ج٤/٢١٨١.

[٣] . المزي :م.س ،ج٣/٤٠٧.

[٤] . وكيع : م.س ، ج١/٣٢٦.

[٥] ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيقهي (ت٤٥٨هـ) ، السنن الكبرى ،دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) ،ج١/١٩٤.

كان إياس ملماً بعدد من العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصره كالتفسير والثقة، فقد كان على إطلاع واسع بتفسير كتاب اللّه عز وجل ويؤكد على أهمية التفسير، فكان يقول: "مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فداخلتهم روعته ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب"[١].

أما علمه بالفقه : فلم يكن إياس بأقل معرفة في هذا الميدان فإلى جانب علمه بالحديث والتفسير كان فقيهاً عالماً ، ومن فقهه : سأل إياس بن معاوية عن الرجل يغشى أهله ثم يقول ليغتسل ثم يبدو له أن يجامعها قبل أن يغتسل : قال لا بأس.

وسأل أيضاً : ما تحقيق الوتر ؟ قال تصلي ما بدا لك ركعتين فإذا بدأ لك فأوتر بركعة[٢] .

٢ ـ شيوخه:

لابد لنا ونحن نتعرض لمسيرة إياس العلمية من الوقوف عند نخبة من الأعلام الذين تربى على أيديهم، وذكر تراجم موجزة لأشهر مشايخه الذين أثروا في حياته ومن شيوخه:

١. أنس بن مالك بن النضر الخزرجى الأنصاري[٣].

٢ . سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ولا يأخذ عطاء ، ولد سنة ١٣ هـ ، وتوفي بالمدينة سنة ٩٤ هـ[٤].

٣. عبد الملك بن يعلى الليثي قاضي البصرة ، ذكره ابن سعد[٥] في الطبقة الثانية من أهل البصرة ، وانه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز.

٤. شهر بن حوشب الأشعري الشامي ، قرأ القرآن على ابن عباس وكان عالماً بالرواية، حسن الحديث ، توفي سنة ١٠٠هـ[١].

---

[١]ـ القرطبي : أبو عبد اللّه محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب ، ١٣٣٧هـ، ج١/٢٦.

[٢]. وكيع : م.س ، ج٢/٣٤١.

[٣] – سبقت ترجمته.

[٤] – ابن سعد : م.س ، ج٥ /٨٨.

[٥] – المصدر نفسه ، ج٧/٢١٧.

٥. القاسم بن محمد بن أبي بكر ψ أبو محمد أحد الفقهاء السبعة في المدينة ولد فيها سنة ٣٧هـ ، وتوفي بقد يد بين مكة والمدينة حاجاً أو معتمراً سنة ١٠٧ هـ ، وكان صالحاً ثقة من سادات التابعين ، عمي في أواخر أيامه[٢].

٦. الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد ، تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه ، ولد بالمدينة سنة ٢٢ هـ ، أمة خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة ، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ ، وله من ثمان وثمانون سنة[٣].

٣ـ تلاميذه:

هذه نخبة من تلاميذه إياس بن معاوية الذين نهلوا من منبعه الصافي وعلمه الواسع، ولما كان تلاميذ إياس من الكثرة التي لا يسع هذا البحث الإحاطة بترجمتهم رأينا أن نقتصر التعريف بشاهرهم وبتراجم موجزة لكل منهم ، ومن تلاميذه :

١. مغيرة بن مقسم الضبي مولاهم ، ويكنى بأبي هشام ، توفي سنة ١٣٦ هـ وله

---

[١] – الشيرازي : أبو إسحاق (ت٤٧٦هـ) ، طبقات الفقهاء ، ط٢ ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص٧٤٠.

[٢] – ابن سعد : م.س ، ج١٣٩/٥ ؛ الشيرازي : م.ن ، ص٥٩.

[٣] – الأسيوطي : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن (ت٩١١ هـ) ، طبقات الحفاظ ، تحقيق علي محمد عمر ، ط٤ ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، ١٩٧٣م ص٣٥.

كتاب الفرائض[١].

٢. ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، أبو عثمان وأبو عبد الرحمن ، أسمه فروخ وهو مولى تيم بن مرة ، ويعرف بربيعة الرأي ، مات سنة ١٣٦هـ[٢].

٣- داود بن دينار بن أبي هند ، مولى لأل الأعلم القشريين ، كان ثقة كثير الحديث ، توفي سنة ١٣٩هـ[٣].

٤. خالد بن مهران الحذاء ، ويكفي أبا المبارك ، مولى لقريش ولقب بالحذاء لقوله، أحذو على هذا النحو ، وكان رجلاً مهيباً ثقة لا يجرؤ عليه أحد ، كثير الحديث، توفي سنة ١٤١هـ[٤].

٥. حميد بن أبي حميد الطويل ، ويكنى أبا عبيدة ، وكان ثقة كثير الحديث ، توفي سنة ١٤٢هـ[٥].

٦. محمد بن عجلان أبو عبد الله المدني ، كان فقيهاً عالماً عاملاً له حلقة في مسجد النبي ε، توفي سنة ١٤٨هـ[٦].

٧. سعيد بن مهران ويكنى أبا النضر وكان ثقة كثير الحديث ، توفي سنة ١٥٦هـ[٧].

٨ . شعبة بن الحجاج بن الورد، وكان ثقة مأموناً ثبتاً صاحب حديث حجة توفي بالبصرة سنة ١٦٠ هـ[٨].

٩ . حماد بن زيد بن ويكنى أبا إسماعيل ، وكان ثقة ثبتاً حجة كثير الحديث ولد سنة ،

---

[١] – ابن سعد : م.س ، ج٦ /٢٣٥.

[٢] – الشيرازي : م.س ، ص٦٥ ؛ ابن خلكان : م.س ،ج١/١٨٣.

[٣] . الرازي : م.س ، ج٣/٤١١.

[٤] . الأسيوطي : م.س ، ص٧١.

[٥] – الذهبي : تذكره الحفاظ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) ، ج١/١٥٢.

[٦] – الذهبي : م.ن ، ج١/١٦٥ .١٦٦.

[٧] – ابن سعد : م.س ، ج٧/٣٣ ؛ الأسيوطي : م.س ، ص٨٥.

[٨] – ابن سعد : م.ن ، ج٧/ ٢٨٠ . ٢٨١.

٩٨هـ ، وتوفي في رمضان سنة ١٧٩هـ[١].

١٠ . روح بن عبادة القيسي من بني حبس بن ثعلبة ، ويكنى أبا محمد ، وكان ثقة ، مات سنة ٢٠٥هـ[٢].

٤ ـ آراء العلماء فيه:

لقد أثنى عدد كبير من كبار الأئمة الفقهاء والعلماء والمحدثين على القاضي إياس بن معاوية، فلنستعرض ما قالوه عنه وما أوردوه من ثناء معاصريه وغيرهم عليه، لتتضح لنا الصورة المشرقة في مكانته ومنزلته العلمية :

قال ابن سعد بعد أن عده في الطبقة الثالثة[٣]: وكان ثقة وكان قاضياً على البصرة وله أحاديث ، وكان عاقلاً من الرجال فطناً.

ثم روى بسنده عن ابن عون قال: ذكروا إياساً عند محمد . أي ابن سيرين[٤] . فقال: إنه لفهم.

وفي رواية المزي[٥] كررها مرتين :" إنه لفهم إنه لفهم ".

وقال الذهبي[٦] : " إياس بن معاوية بن قرة تابعي ، ثقة ، نبيل " . ثم قال : "وثقة ابن معين وساق له مسلم في مقدمة صحيحة ، وخرج له البخاري تعليقاً ".

وقال ابن حجر[٧]: " ثقة من الخامسة ". والمراد بالخامسة عند ابن حجر من رأى الواحد والاثنين من الصحابة ولم يثبت لأكثرهم سماع منهم .

وذكر ابن كثير فقال[٨] : " لما تولى إياس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أيوب[١] : لقد رموها بحجرها ".

---

[١] – الرازي : م.س ، ج١/ ١٧٦.

[٢] – الأسيوطي : م.س ،ص١٥١.

[٣] – المراد بالثالثة . عند ابن سعد . من طبقة الفقهاء والمحدثين والتابعين من أهل البصرة ، ابن سعد : م.س ، ج٧/٥٢٧.٥٣١.

[٤] _ هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري ، ولد سنة ٣٣هـ ، وتوفي سنة ١١٠هـ ، ابن سعد: م.س ، ج٧/ ١٩٣ ؛ الذهبي : تذكره الحفاظ ،ج١/٧٧.

[٥] – م.س ،ج٣/٤٠٩.

[٦] – أبو عبد الله محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) ،ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مصورة على طبعة عيسى ألبابي في القاهرة ، ١٩٦٣م ، دار الفكر ، بيروت، ج١/٢٨٣.

[٧] – أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، تقريب التهذيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢، ج١/٨٧.

[٨] – البداية والنهاية ، ج٩/٣٣٧.

كما وأثنى عليه الخلفية الأموي عمر بن عبد العزيز (رحمة الله) . وذلك في معرض رده على عامله بالبصرة حينذاك . عدي بن أرطأة عندما كتب إليه في إياس بن معاوية بعد هربه من القضاء يصيب عليه ، فقال عمر :

"ما رأيت أحداً أحسن قولاً في إياس من أبيك ، ولا رأيت أحداً في زمننا الثناء عليه أحسن عليه[٢] ".

وكفى بها من شهادة لصدروها من خلفية عرف بعدله وورعه وتقواه ، وفيها الدلالة الواضحة الشافية على علو منزلة القاضي إياس بن معاوية مما لا يجعل لإضافة شيء بعد ذلك من سبيل فقد أوجز وأوفى فرحم الله تعالى الجميع .

المبحث الثالث / حياته العملية

١ـ توليه قضاء البصرة:

القضاء في الإسلام جزءاً لا يتجزأ من رسالة الحكم وسياسته ، فلا يستقيم حكم صالح إلا بقضاء صالح ، ولا تتم رسالة التشريع إلا برسالة القضاء قال سبحانه وتعالى: (فَلا وَرَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ حَتَّىّ يُحَكِمُوكَ فِيماَ شَجَر بَيَْنُمْ ثُمَّ لاَ يجِدُوا فِي أَنفسِهِمْ حَرَجاً ممَّا قَّضيْتَ وَيَُسَلُمُوا تَسْلِيماً)[٣].

والنبي ε وتولى القضاء بنفسه وولى غيره ، ثم تولاه الخلفاء من بعده وولوا غيرهم، فكان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرون بأنفسهم ، حتى إذا اتسع سلطانهم باتساع الدولة العربية الإسلامية وامتدت الفتوحات وكثرت المنازعات والخصومات وزادت مهام أعمالهم اضطروا إلى أن يفوضوا غيرهم للقيام ببعض هذه الأعمال ، ممن توافرت فيهم الصفات المناسبة .

---

[١] – هو أيوب بن أبي تميمة السختياني ، كان ثقة ثبتاً في الحديث ، ولد سنة ٨٦هـ ، ومات في الطاعون بالبصرة سنة ١٣١هـ ، ابن سعد : م.س ، ج٢٤٦/٧.

[٢] – وكيع : م.س ،ج٣١٥/١.

[٣] – سورة النساء : الآية ٦٥.

ومن هذا يتبين أن ولاية القضاء تكون صادرة إما من الإمام نفسه أو ممن فوض إليه بذلك، فقد جاء في تبصرة الحكام[١]: تنعقد ولاية القضاء بأحد أمرين عقداً لأمير المؤمنين أو عقد ذوي الرأي وأهل والمعرفة لرجل كملت فيه شروط القضاء ، وهذا حيث لا يمكنهم مطالعة الأمير.

لم تكن تولية إياس بن معاوية القضاء بطلب منه أو بأمر مبتدأ من الخلفية، وإنما كان بناء على اختيار وامتحان لمعرفة مدى صلاحيته للقضاء على الرغم من شهرته، فقد تولى إياس قضاء البصرة بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد امتحانه الذي نفذه واليه على البصرة عدي بن أرطاة.

فقد روى المزي[٢] إذ قال: "كان إياس بن معاوية بن قرة قاضياً قائفاً مزكناً استقضاه عمر بن عبد العزيز، حيث أرسل رجلاً من أهل الشام وهو عدي بن أرطاة عندما ولاه البصرة وأمره أن يجمع بين إياس وبين القاسم بن ربيعة الجو شني من بني عبد الله بن غطف ويولي القضاء أنفذهما ، فقدم فجمع بينهما، فقال إياس للشامي: سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين ، ولم يكن إياس يأتياهما فعلم القاسم أنه إن سألاهما أشارا به ، فقال للشامي : لا تسأل عنه فو الله الذي لا إله إلا هو ، إن إياساً لأفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء ، فإن كنت ممن يصدق فينبغي أن تصدق قولي، وإن كنت كاذباً فما يحل أن توليني وأنا كذاب.

فقال إياس للشامي : إنك جئت برجل فأقمته على جهنم فأفتدى نفسه من النار أن تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها فيستغفر الله منها وينجو مما يخاف ، فقال الشامي: أما إذا فطنت لهذا فإني أوليك فاستقضاه ، فلم يزل على القضاء سنة ثم هرب.

---

[١] – ابن فرحون : برهان الدين بن إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ) ، تبصرة الحكام ، مطبعة الحلبي ، ١٣٨٧هـ ، ج١/٢١.

[٢] – تهذيب الكمال ، ج٣/ ٣٤٠

ثم استطرد المزي في ذلك موضحاً كيفية تنفيذ الأمر فقال[١]: لما ولي إياس بن معاوية القضاء دخل عليه الحسن البصري وإياس يبكي، فقال له ما يبكيك؟ فذكر إياس الحديث النبوي الشريف ((القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة)).

وأن المدة التي قضاها إياس بن معاوية في القضاة كانت سنة واحدة فقد. ونستنتج ذلك من رواية أوردها أبن كثير حيث قال[٢]: " لما عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة هرب منه إلى عمر بن عبد العزيز فوجده قد مات ، فكان يجاس في الجامع فأغلط له الأموي، فقيل للأموي ، هذا إياس بن معاوية المزني ، فلما عاد من الغد اعتذر له الأموي وقال : لم أعرفك وقد جلست إلينا بثياب السوقة وكلمتنا بكلام الأشراف فلم نحتمل ذلك.

وبالنظر في تاريخ وفاة عمر بن عبد العزيز نجد أنه توفي سنة إحدى ومائة من الهجرة ، وبما أن القاضي إياس قد تولى القضاة سنة واحدة فقط. كما يتضح لنا أيضاً أنه تولى القضاة وعمره أربعة وخمسون عاماً أو خمسة وخمسون لأن مولده سنة ست وأربعين من الهجرة كما سبق وأن أوضحنا ذلك.

٢ـ ولايته سوق واسط:

تقلد إياس بن معاوية بعد ولايته قضاء البصرة بفترة ولاية سوق واسط بأمر من والى العراق عمر بن هبيرة وتنحصر هذه الولاية في الأشراف على المرافق العمة من حوانيت وغيرها واستحصال أجريتها لصالح الدولة.

---

[١] – عن بريدة بن الخصيب أن رسول الله ε قال : القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار فأما الذي الجنة فرجل عرف الحق وقضي به ورجل عرف الحق فجار فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار.

انظر : أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي (ت٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود ، المطبعة التجارية ، ١٩٥٢م ، ج٣/ ٢٩٩.

[٢] – م.س ، ج٩/ ٣٣٤.٣٣٥.

زوى وكيع[1] بسنده عن أبي سفيان ألحميدي أن جده مهدي بن عبد الرحمن ولي لعمر بن هبيرة سوق واسط ، ثم وليها بعده إياس بن معاوية وقد حاولت جهدي للعثور على ترجمة لمهدي بن عبد الرحمن والي السوق قبله لنتمكن من خلالها تحديد تاريخ ولاية إياس ، والذي نستفيده من الرواية السابقة هو ولاية إياس بن معاوية لسوق واسط كانت بعد ولايته لقضاء البصرة بفترة ، وذلك لأن عمر بن هبيرة لم يل إمارة العراق إلا بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، أو بأمر من الخليفة بعده يزيد بن عبد الملك. زكما سبق أن أوضحنا أن إياس بن معاوية ترك القضاة سنة إحدى ومائة من الهجرة وهي السنة التي توفي فيها الخليفة عمر بن عبد العزيزτ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

أختم بحثي هذا بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها:

أولاً: إن بداية نشأة القاضي إياس العلمية كانت على يد والده ثم على يد من عاصرهم من أعلام المرسلين أمثال الصحابي جليل أنس بن مالك τ ، وسعيد ابن المسيب، وغيرهم حتى برع في العلم وكثر تلاميذه الذين رووا عنه وشهد له معاصروه بمكانته ومنزلته العلمية .

ثانياً: إن منهج القاضي إياس في القضاء هو منهج الحاكم المسلم ، وهو الاعتماد في حكمه على الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ولكنه يتميز بجانب التقى والورع والفطنة والذكاء الحاد والفراسة القوية التي قلما تخطئ ، وعمق النظر فيما يعرض عليه من قضايا ، فقد كان يستوعب القضية حال عرضها عليه ويتجه لها بكامل عقله، فلا يترك فيها أدنى ثغرة إلا استغلها استغلالاً كاملاً لإظهار الحق وإبراء الذمة.

ثالثاً: إن ما أوردناه عن حياة وسيرة القاضي إياس بمختلف صورها وثناء الناس عليه بجميع شرائحهم خلفاء وعلماء وولاة تضئ لنا الطريق لمعرفة من هو إياس بن معاوية إنه مثال القاضي المسلم ، فهماً وديناً وورعاً .

---

[1] – م.س ، ج١/٣٥٣.

رابعاً: يبدو لي أن شخصية إياس بن معاوية شخصية متميزة تحتاج إلى الكثير من المعلومات حتى تتضح الصورة عنها وتتكشف الجوانب الخفية منها، ولعله في المستقبل ومن خلال تراثنا الإسلامي المنتشر والمبعثر في أرجاء العالم نجد مخطوطات فيها المعلومات القيمة التي توضح لنا جوانب أخرى من هذه الشخصية وتعطيها حقها الكامل. ورغم كل ذلك فشخصية إياس وجهوده في القضاء الإسلامي احتلت موقعها المتميز في ساحة القضاء والذي لا يمكن التجاوز عنه دون الإمعان فيه والاستفادة منه . ومن الله التوفيق .

قائمة المصادر

بعد القرآن الكريم.

١. أبو داود ، سنن أبي داود ، المطبعة التجارية ، ١٩٥٢م.

٢. ابن آبي حاتم ، الجرح والتعديل ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٣. ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مكتبة الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .

٤. ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ .

٥. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق حسان عباس ، دار صادر ، بيروت.

٦. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ،(د.ت).

٧. ابن عبد البر ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، دار العلوم الحديثة ، طبعة بالاوفسيت، مكتبة المثنى ، (د.ت).

٨. ابن فرحون ، تبصرة الحكام ، مطبعة الحلبي ،١٣٧٨هـ.

٩. ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ ، ط٥ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، (د.ت).

١٠. البخاري ، التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٨٢هـ.

الجامع الصحيح (صحيح البخاري) ، دار الجيل ، بيروت ،(د.ت).

١١. البيهقي ، السنن الكبرى ، دار المعرفة ، بيروت ،(د.ت).

١٢. الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٤، دار الفكر ، بيروت.

١٣. الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت .
١٤. الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،(د.ت). سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مصورة على طبعة عيسى ألبابي في القاهرة ، ١٩٦٣م ، دار الفكر ، بيروت.
١٥. الأسيوطي ، طبقات الحفاظ ، تحقيق علي محمد عمر ، ط٤ ، مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٧٣م.
١٦. الشهرستاني ، الملل والنحل ، مطبعة دار الندوة ، بيروت ،(د.ت).
١٧. الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، دار الرائد العربي، ١٩٨١م.
١٨. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب ، ١٣٣٧هـ.
١٩. المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.
٢٠. مسلم بن حجاج ، الجامع الصحيح (صحيح مسلم) ،دار الجيل ، بيروت ، (د.ت).
٢١. وكيع ، أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت ،(د.ت).
٢٢. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،١٩٩٥م.